مسرحية

الحادث والكائن

في موت عايش بن ظاعن

تأليف و إخراج

عبدالرحمن المناعي

عن رواية

اللؤلؤة

للكاتب جون شتاينبك

1990

العاصفة العقرب

(ليلة عاصفة من شتاء بارد من سنين خلت ، أكواخ الغواصين المنتشرة بجوار البحر.. غناء وأحاديث وهمهمات ونباح كلاب)

رجـــل ألا تتغير دورة الأيام؟

آخـــر ***(يضحك)*** وكيف ؟

رجـــل أن نصحو غداً بدون ديون لأصحاب السفن .. أن نغوص بحرية وبدون التفكير في سداد تلك الديون التي لا تنتهي.

رجـــل هانحن نغوص بحرية.

آخـــر غوص الشتاء .... محاولة لتعويض الغوص الكبير .. وماذا نجني غير البرد والجوع ولآليء كالتراب لا تأتي إلا بفتات الخبز.

رجـــل شرع الغوص ... وجبروت أصحاب السفن وتجار اللؤلؤ.

(في كوخ مهنا)

مهنـــا هانحن نعاود الليل البائس.

لـولـــوه نم ... غداً يأتي بوجهه , وليس لك إلا الصبر.

مهنـــا والعاصفة .. نلتمس البحر في هذا البرد فلا ترحمنا الرياح ....إن ظاعنَ يغني.

لـولـوه ليس لنا إلا الغناء .. نم إن البرد يفترس عظامي.

رجـــل إن ظاعنَ يحفظ أغنية للريح.

آخـــر وأغنية للبحر ... وأغنية للحياة .... أغنية للخير وأخرى للشر ....

رجـــل إنها ليلة باردة.

(منزل الغواص ظاعـــن ... كوخ صغير في أطراف قرية صيادي اللؤلؤ. طفل صغير ملفوف بخرق بالية بجانبه حصـة امرأة ظاعـــن).

حصـــة لن تهدأ الريح .

ظاعـــن استجديها مرة أخرى لعلها تهدأ ... سوف أغني لها لتهدأ.

حصـــة لن تهدأ.

ظاعـــن لن أكف عن الغناء ، ربما أشهد موج البحر كالمرآة.

حصـــة التمر يتناقص ...

ظاعـــن ماذا أفعل ؟

حصـــة لا تصرخ ....

رجـــــل ***(من كوخ آخر)*** من يصرخ هكذا ... ألا يكفي البرد.

آخـــــر غناء وصراخ نريد أن ننام.

رجـــــل حتى النوم على عداء وهذه الأكواخ اللعينة.

رجـــــل كفوا عن الصراخ.

ظاعـــن الريح تصرخ ... سأذهب للخارج.

حصـــة لن تهدأ الريح.

ظاعـــن سأنحني أمام البحر ، سأتوسل إليه .. ربما يعرفني.

حصـــة والتمر ؟

ظاعـــن سيكون الغد يوماً آخر.

حصـــة كف عن الدوران ، غناؤك لن يجدي.

ظاعـــن في موسم الغوص لا رياح .. كل السفن الكبيرة ترحل ... لا تتوقف عن تلوين الزرقة بالبياض .. ولكن الآن

حصـــة عدت بدين جديد.

ظاعـــن ماذا كنت أفعل ؟ .. كان القمر والطبل والغناء ، الموال كالسكين يفترس الجرح يمزق الحنين .. ولكن .. المحار في القاع ... بعيداً لا يسمع .... لا يسمع.

حصـــة دين جديد.

ظاعـــن لست وحدي . ها أنا أحاول .. قاربي الصغير ، وهذا الذراع الواهن ... الشتاء بارد ، والريح لا تتوقف.

حصـــة وتناقص التمر لا يتوقف.

(في كوخ مهنا)

مهنـــا إن ظاعنَ يندب حظه كالعادة.

لـولـوه اطفيء النور .. دعنا ننام.

مهنـــا ولكنه أخي.

لـولـوه ***(بغضب)*** وماذا نفعل له .. إنه رجل.

مهنـــا لديه طفل رضيع.

لـولـوه إنني أحتفظ بالتمر للأيام القادمة.

مهنـــا زوجته وطفله بحاجة شديدة للقليل ...

لـولـوه ***(تقاطعه)*** لا قليل ولا كثير .. دعنا ننام .. لكل منا مصيبته الخاصة .. دعنا ننام.

(في كوخ الغواص ظاعن)

ظاعـــن في الغد ستهدأ الرياح.

حصـــة وإن لم تتو.....

ظاعـــن ***(يقاطعها)*** كّفي عن هذا النواح .. لقد تشقق جلدي من برودة الماء ، وتقرحت قدماي من حجارة القيعان الضحلة ... ماذا أفعل ؟ ألا يكفي موسم الغوص حتى أعود لغوص الشتاء ... في قارب بالٍ أجدف من الفجر حتى الشروق ، وأغوص حتى الغروب، وأعود محملاً بالخيبة ، اللآلئ الصغيرة لا تأتي بتمر كثير.

(لحظات صمت .. ظاعـــن يكتشف وجود عقرب صغير يسير وسط الكوخ)

حصـــة ماذا تفعل؟

ظاعـــن لا أعرف لماذا تغزونا الحشرات والقوارض.

حصـــة ماذا تلاحق ؟

ظاعـــن عقرباً.

حصـــة اللآليء تجلب بعض التمر والحليب.

ظاعـــن ***(لا يزال يلاحق العقرب ، يداعبه بعصا صغيرة)*** وتجلب المتاعب . تجار المدينة يتدثرون بعباءات الوبر لا يخرجون إلا أكفهم وبعض النقود الصدئة.

حصـــة ولكنها تأتي بالتمر.

ظاعـــن رحلة طويلة .. توسل ورجاء حتى نحصل على مايكفي من تمر وحليب ليومين أو ثلاثة.

حصـــة كف عن الدوران .. اقتله.

ظاعـــن إنه يبحث عن شيء.

حصـــة ماذا سيحدث لطفلنا إذا لم تهدأ العاصفة ؟

ظاعـــن يحمل سمّاً ويسير ، ونحمل هموماً لا تقبل القسمة.

حصـــة يا ربّ ، لتكف هذه الرياح .. لا أعرف ماذا سيحدث لنا.

ظاعـــن ينمو ليختزن كمية أكبر من السم .

حصـــة جف صدري ، لا حليب ، لا تمر ، فقط هذه الرياح.

ظاعـــن سأذهب حتى لو لم تتوقف هذه الرياح . نعم في الغد سأبحر ... أعرف أن القارب صغير ، والرياح عاتية ، والبرد قاتل .

حصـــة هل أفقدكما أنتما الاثنين ؟

ظاعـــن ولكن التمر يتناقص.

حصـــة لا بد أن نبحث عن شيء.

ظاعـــن إنه يبحث عن شيء ***(يشير للعقرب).***

حصـــة كف عن الدوران ... اقتله.

ظاعـــن ***(يصرخ)*** لماذا يأتي هذا الزمن؟

رجـــل ***(ينادي من كوخ مجاور)*** ألا تنام يا ظاعن .. كف عن الصراخ نريد أن ننام.

(حركة بين الأكواخ نتيجة لصراخ ظاعن .. لرجل يخرج ويعود مرة أخرى .. ترتفع همهمات المغني)

ظاعـــن في الشتاء كنا نذهب إلى الصحراء.

حصـــة كنت صغيراً.

ظاعـــن ***(يسير مبتعداً عن مكان العقرب)*** كانت الجمال تقودنا للشمال ... نلهث خلفها ... نخلف السفن الكبيرة .. نرقب طالع الوسمي ... ونتوسل للسماء ... نقود خلفنا مواشينا .. ننسى ظلمة الأعماق ولفح السموم وهجير الشمس . نجد السير نلتمس الرياض الخضر ، نلهو وأزهار النوار ، نتعلم العشق والحنين للبحر.

حصـــة كنت صغيراً.

ظاعـــن نعم .. كبرت وكبر الدين .. لا مناص ، سأذهب غداً.

حصـــة ***(بفزع)*** ماذا أفعل بهذا الطفل ؟ أخاف أن يموت جوعاً.

ظاعـــن ***(يشير للعقرب)*** إنه يبحث عن طعام.

حصـــة ***(بغضب)*** اقتله.

ظاعـــن نعم سأقتله .. وسأذهب للخارج .. سأغني للريح فربما تهدأ.

حصـــة لن تسمع توسلاتك .. الريح لن تسمع غناءك ، فقط كف عن هذا الدوران والهذيان واقتله.

ظاعـــن أين هو ؟ أين العقرب؟ أين هو؟

حصـــة هرب من سخف أحلام هذا الكوخ التعس.

ظاعـــن بهذه السرعة ؟ لازال لدينا بعض التمر.

حصـــة التمر الممرغ بالتراب وبقايا القوارض ، لا يخلق سماً.

ظاعـــن ***(لا يزال يبحث عن العقرب)*** كان هنا وكنت سأقتله.

حصـــة إن من يحلم لا يعرف القتل ... اذهب وتوسل للريح .... كف عن الدوران.

ظاعـــن كان هنا .. أين ذهب؟

حصـــة اقتله.

ظاعـــن ولكن أين هو ؟ لو كنت قتلته. هذا العقرب الملعون ، أين ذهب ؟

حصـــة يبحث عن كوخ بدون أحلام وغناء.

حصـــة حاول أن تنام يا عزيزي .. ولكن كيف تنام والجوع أول ما تعلمته من هذا الكوخ... إنك كريه ... إنه هنا وفي الكتف غرس شوكته.

ظاعـــن لا .. لا ***(يهجم على مهاد الطفل ويبدأ في محاولة سحب السم بفمه بعد أن شطب كتفه بسكين صغيرة)***

حصـــة الدم ..السم .... مهاده أحمر .. كتفه يتورم . ***(من خارج الكوخ)***

مهنـــا ماذا حدث؟

رجـــل ***(ينادي)*** ماذا حدث يا ظاعن؟

لـولـوه إنهم يتحدثون عن سم وعقرب.

ظاعـــن أخرجت بعض السم.

حصـــة وبعضه الآخر ؟

ظاعـــن لا بد أن أذهب للملا.

حصـــة أسرع إنه يتورم ويحمر.***(أهل الأكواخ يخرجون مستفسرين ... ظاعن يحمل طفله يسير خلفه أخوه وجيرانه)***

رجـــل ماذا حدث؟

آخـــر سمعتهم يتحدثون عن عقرب.

آخـــر هناك من لدغ.

رجـــل إنه طفل ظاعن.

آخـــر هل يذهب للملا ؟

رجـــل هل سيقبل بعلاجه؟

مهنـــا عد يا أخي .. لا تجازف .. الملا لن يقبل بعلاجه.

لـولــوه سلم أمرك لله ***(ظاعن يسير بصمت)***

سلمان كل شيء لزوال .. كل شيء لزوال.

رجـــل هل فصدت الدم ؟

آخـــر الملا يريد نقوداً يا ظاعن وأنت ....

آخـــر عد وضع بعض الرماد على مكان اللدغة.

سلمان تبدأ بصرخة وتنتهي بصرخة ... الزوال .. الزوال.

(المسيرة تتابع سيرها لمنزل الملا في وسط المدينة)

الدواء .... الملاّ

ظاعـــن ***(يطرق باب الملا)*** سيدي الملا .. سيدي الملا.

المـــلا ***(من الداخل الملا ينادي خادمه)*** مسعود .. يا مسعود.

مسعود نعم .. نعم يا سيدي

المـــلا اخرج لهذا المعتوه وانظر ماذا يريد .

مسعود حاضر يا سيدي. ***(يخاطبه من فتحة الباب)*** نعم من أنت ؟ وماذا تريد؟

ظاعـــن ابني الرضيع لدغته عقرب وهو يموت .. ليساعدنا سيدي الملا.

مسعود انتظر لحظة .

المـــلا اسأله من أنت.

مسعود لم ترد على سؤالي .. من أنت ؟

ظاعـــن ظاعـــن يا سيدي.

مسعود يقول إنه ظاعـــن.

المـــلا ظاعـــن من .. هذا لا يكفي ، من أين هو ؟

مسعود من أين أنت ؟

ظاعـــن ابني يموت ، لدغه عقرب ، أرجوك.

المـــلا ليكف عن هذا النواح . ويجيب.

مسـعود قلت لك أنت من ؟ .. ومن أين ؟

ظاعـــن أنا صياد من أطراف القرية .. ابني يا سيدي .

المـــلا قل له هل هو من سكان الأكواخ التي في طرف القرية ؟

ظاعـــن نعم نعم يا سيدي .

المـــلا ويتجاسر على إيقاظي في منتصف الليل ... من أطراف القرية ويصل لمنزلي بهذه السهولة .. لينصرف في الحال.

مسـعود هيا انصرف ... تبدو وكأنك لص.

ظاعـــن لا يا سيدي أنا ظاعــن ، وابني لدغته عقرب ، وهو يتورم يموت أرجوك أن تساعدني.

حصـــة أتوسل لك يا سيدي الملا.

المـــلا ها ... من صاحب هذا الصوت.

مسعود إنها أم الطفل ياسيدي.

المـــلا أم الطفل .. قل له هل لديه أجر.

مسـعود هل تملك أجراً مقابل الدواء ؟

ظاعـــن نعم نعم ... لدي لؤلؤة صغيرة ، ولكن.

مسـعود ***(يسحب الكيس من يد ظاعــن)*** هاتها.

المـــلا ***(يتأمل اللؤلؤة)*** أهذه لؤلؤة يا كلب .. تزعجني في هذه الساعة المتأخرة من الليل وتريد أن تضحك علي بهذه الذرة التافهة ***(يرمي الكيس).***

ظاعـــن من أجل ابني أرجوك أن تساعدنا يا سيدي الملا ..

مسـعود انصرف أيها المعتوه.

ظاعـــن ولكنه يموت قل لي : ماذا نفعل له ؟

المـــلا يا مسـعود : اطرد هذا المتسول ، ولا تدعه يقترب من منزلي مرة أخرى.

ظاعـــن ولكن؟

مسـعود هيا انصرف ... ولا تحاول العودة مرة أخرى ***(يدفعه بعيداً)***

ظاعـــن ولكنه يموت يا سيدي الملا...

مسـعود هيا ... هيا ***(يسير ظاعــن عائداً لكوخه يتبعه أخوه وجيرانه)***

عايش

(ظاعن يسير بقلق .. نلاحظ تلاشي أصوات الرياح .. حصة تبكي طفلها الملدوغ)

حصـــة لقد نام ... جسده يتفجر من الحرارة .. إنه يتورم ويحمر. هل سيعيش ؟

ظاعـــن لا بد أن تهدأ الرياح.

حصـــة وماذا يهم ؟

ظاعـــن مصصت بعض السم ... كان لابد أن أستخدم السكين ... العقارب في الصحراء أكثر خوفاً.

حصـــة هل سيعيش ؟

ظاعـــن لا أدري ... لا أدري .. لم أمنحه اسما حتى اليوم ...

حصـــة سأحمله للملا مرة أخرى.

ظاعـــن لا فائدة ... نحن سكان الأكواخ .. إنه معلم أولاد أصحاب السفن وتجار اللؤلؤ.

حصـــة ولكن كتفه يتورم.

ظاعـــن عقارب الصحراء تهرب من حوافر الخيل.

حصـــة كف عن الدوران.

ظاعـــن سأمنحه اسماً.

حصـــة ليموت به .

ظاعـــن بل ليعيش به .

حصـــة حرارته ترتفع .

ظاعـــن لا بد أن يكون له اسم .. ملعون ذلك العقرب .. ملعون ذلك...

رجـــل ***(من خارج الكوخ)*** هل مات الطفل يا ظاعن؟

حصـــة الليل يرحل.

ظاعـــن سأذهب للخارج .

حصـــة هل تمنحه اسماً.

ظاعـــن سأغني للريح.

حصـــة إنها تهدأ.

ظاعـــن ***(ينتبه لهدوء العاصفة فيصرخ فرحاً)*** نعم .. إنها تهدأ .. تهدأ .. عاصفة أخرى أنستني الريح ... نعم إنها تهدأ .. تهدأ.. هذا يعني أنني سأبحر غداً .. نعم سأبحر... غداً.

حصـــة وطفلنا ؟

ظاعـــن سيعيش .. نعم إنه عايش ... نعم سأسميه عايش .. سأسميه عايش.

(في كوخ مهنا شقيق ظاعن)

لـــولوه انهض .. انهض يا رجل .. هيا الرياح هدأت جهز حاجياتك ولنذهب.

مهنـــا لا أعرف ماحدث لطفل ظاعن.

لـــولوه دعك من هذا .. وقم .. لابد أن نبحر قبل شروق الشمس.

(في كوخ ظاعن)

حصـــة هل يتغلب على السم ؟.

ظاعـــن الرياح هدأت.

حصـــة وماذا سيحدث لنا بعد رحيلك ؟

ظاعـــن عايش سينقذه الله ، نعم سينقذه العلي القدير . صلي الفجر وسأعود.

حصـــة وإذا ..؟

ظاعـــن لا .. لا ... سيأتي زمن نذهب للصحراء .. سيرى منازلنا القديمة ، سأعلمه كيف يصنع الفخاخ ويلهو والعصافير ، سأعلمه أشعار البدو .. سيكون رجلاً.

حصـــة هل نذهب معك؟

ظاعـــن للبحر ؟

حصـــة أخاف أن يموت وأنا هنا وحدي.

ظاعـــن للبحر ؟

حصـــة لعلي أجد بعض العزاء في وجودك.

ظاعـــن القارب يسعنا جميعاً.

حصـــة نصلي الفجر في القارب ؟

ظاعـــن وبعض التمر.

حصـــة ***(تحمل الطفل)*** كتفه يزداد احمراراً .. هل في البحر تراب؟

ظاعـــن جدي قبر في قاع البحر ... هو وقطعة حجر كبيرة لازال هناك.

حصـــة ليحفظ الله عايشاً .. هل نذهب ؟

(ظاعن وجيرانه يتأهبون لنزول البحر)

البحر .. الحياة

(غناء وأهازيج .. أصوات الموج وأصوات الغواصين تأتي من البعيد... بعض القوارب تتمرجح تحت لهيب الشمس الحارقة)

حصـــة النهار ينتصف وأنت بهذه البقعة المخيفة.. عايش هل،ستعيش ؟ ***(تحاول إطعامه بعض التمر)*** تمرة واحدة .. يارب.

ظاعـــن ***(يرفع رأسه من الماء)*** لا شيء .. لا شيء .. سوى هذه الطحالب والأعشاب ***(يرمي بها في القارب).***

حصـــة حاول مرة أخرى.

ظاعـــن البرد يقتلني ، يجمد أوصالي لا شيء هناك .. ظلمة وصخور وصمت ... حاولت حتى خلت أن هذا البحر لم يعرف المحار قط .

حصـــة من أجل عايش لا بد أن تحاول.

رجـــل ***(من قارب آخر يأتي صوت رجل)*** هل صحيح حكاية العقرب يا ظاعـــن؟

آخـــــر ما هي أخباره الآن؟

رجـــل هل جننت لتذهب للملا في منتصف الليل من أجل طفل رضيع.

آخـــــر هل حرارته مرتفعة ؟

رجـــل إذا كانت اللدغة محمرة فأنه سيموت.

آخـــــر لا اعتقد أن طفلاً صغيراً يحتمل لدغة عقرب.

رجـــل هل مات يا ظاعـــن ؟

آخـــــر لا تزال صغيراً والأيام قادمة.

ظاعـــن لا بد أن أحاول مرة أخرى .. ***(يستعد للنزول للبحر)*** لا ترد عليهم.

حصـــة عايش : هذا هو أبوك .. انظر إلى السماء كم هي رائعة .. في المستقبل ربما لن تحتاج للجري خلف تجار اللؤلؤ .. فقط استنشق هذا الهواء الجميل ، استمد منه قوة للبقاء ***(تنظر للبعيد)*** .. يا إلهي إنه يبعد .. يا ظاعـــن .. ظاعـــن لا تبتعد إنه يموت .. ماذا أفعل .. ماذا أفعل .. يا إلهي ..

رجـــل من معك يا ظاعــن ؟ من يتحدث عن الموت ؟

حصـــة ماذا أفعل ؟ لا يوجد شيء .. غير الماء المالح ... وهذه الطحالب والأعشاب . يا ظاعــن لا تبتعد .. إني أشعر أن شيئاً آخر يقترب منا . لتعد يا ظاعــن.

رجـــل هل كانت العقرب كبيرة يا ظاعــن؟

حصـــة ***(تأخذ كومة الطحالب والأعشاب وتضعها على كتف الطفل)*** لا شيء غير هذا .. ماذا أفعل .. عد يا ظاعــن .

رجـــل لماذا لا ترد يا ظاعــن ؟ هل مات الطفل؟

حصـــة يارب لا أحد غيرك .. أنت الشافي .. أنت المنقذ .. لا أملك غير هذا .. الماء والطحالب والشمس.

ظاعــن ***(يخرج من الماء)*** إنها المرة العاشرة لا شيء .. فقط البرد .. ولكن لا عليك لا يزال في النهار بقية.

حصـــة ذهبت بعيداً.

ظاعــن لا بد أن أكتشف قيعاناً أخرى ***(ينظر إلى الطفل)*** لماذا تبكي ؟

حصـــة أحسست بوحشة .. كنت بعيداً وشعرت بشيء مرعب يقترب من القارب لا أعرف ما هو.

ظاعــن ما هذا ؟ ***(ينظر إلى الطحالب)***

حصـــة لم يعد لي شيء أفعله ... إنه يموت ... يموت ..

ظاعــن وتضعين هذه الطحالب على مكان اللدغة؟.

حصـــة وماذا أفعل .. لا أملك شيئاً آخر.

رجـــل هل هو معك الآن يا ظاعــن ؟ إذا حدث أي شيء .. نادنا.

رجـــل اسمع يا ظاعــن ... في المياه الضحلة يمكن دفنه.

رجـــل نحن لا نراك يا ظاعــن .. هل رحلت ؟

آخـــر غوص الشتاء لا يخلو من الضباب.

رجـــل الضباب والبرد سيجمدان السم في مخ الطفل.

رجـــل هل ذهبت يا ظاعــن ؟

آخـــر هل ذهب ؟

رجـــل لا أرى شيئاً لا بد انه مات.

ظاعــن انظري إنه يفتح عينيه .. يفتح عينيه .. عايش.يا إلهي .. المجد لهذه الطحالب, إن حرارته في نزول ... ولون كتفه يتحول إلى الأزرق.

حصـــة والسم يتركز في بقعة صغيرة .. إن الطحالب تسحب السم للخارج .. إنه يعود للحياة.

ظاعــن تباركت ياذا الجلال.

حصـــة إنه يبتسم.

ظاعــن المجد لهذه الطحالب .. المجد لهذا البحر .. المجد لهذا البحر .. الآن سأحرث البحر من أجل عايش .. من أجلك.

مهـــنا أين أنت يا ظاعن .. هل مات الطفل يا أخي ؟

لـولـوه دعك من ظاعن وانتبه لعملك.

مهـــنا فقط أريد الاطمئنان عليه .. الملا طرده ... ولا نعلم ماحدث لطفله.

لـولـوه ظاعن لديه طفل ونحن لدينا أطفال , وإذا بقيت هكذا تنوح مثل النساء فسوف نموت جوعاً.

(حصـة سعيدة بطفلها تغني له وتمنيه بعودة والده سالماً غانماً)

حصـــة ونزور بيت الله ونطوف بالكعبة

ظاعــن ***(صوته قادم من البعيد)*** حصـة .. حصـة

حصـــة أين أنت يا ظاعــن لا أستطيع رؤيتك ... ظاعــن.. هل حدث شيء ؟

ظاعــن الضباب ... لا أرى القارب .. استمر في النداء وسأهتدي بصوتك.

حصـــة عايش ... مضغ التمرة الثانية يا ظاعــن .. هل تسمعني ؟ إن الهدوء يشعل كل مساحات الوجد.

ظاعــن بل هو الفرح ... نعم الفرح ... من يصبغ الأفق برائحة الحناء ... الآن أتذكر ...

حصـــة هل أستمر في الصراخ يا ظاعــن ؟

رجـــل هل مات يا ظاعــن ؟

آخـــــر من يريد الصراخ ؟ هل مات الطفل ؟

ظاعــن ارفعي صوتك ؛ لا أريد أن أبعد عن القارب إن قدمي لم تعودا تحملاني.

حصـــة هل جرحت ؟

ظاعــن بل من الفرح ... إن العقرب أفرزت سمّاً والضباب أولد الطحالب والموت جاء بالحياة ، إنه شيء لا يصدق .. شيء لا يصدق.

حصـــة ماذا تقول يا ظاعــن ؟!... هل تقترب ؟... هل أستمر في النداء ؟. أتسمعني ؟ هل أغني ؟.

ظاعــن لا يهم ... أنا أشاهد القارب الآن ... إنني قادم ... لا شيء سيحد من خطواتي.

حصـــة هل جرحت ؟

ظاعــن بل اشتعلت داخل البحر ... هل تصدقين أنني أحسست بحرارة الصيف وأنا هناك بجانب الصخرة ... تلك الصخرة الرائعة ...

حصـــة هل البحر عميق ؟

ظاعــن إلى الكتف.

رجـــل ابحث عن مياه أقل عمقاً يا ظاعــن .. لا يجوز أن تدفنه في المياه العميقة.

ظاعــن اصرخي حتى لا أفقدك مرة أخرى.

حصـــة ها أنت بجانب القارب ، أسمعك عندما تصرخ ، هيا لم أعد أفقه ما تقول.

(همهمات أخيرة بين الغواصين .. يقفز ظاعــن إلى قاربه)

ظاعــن انظري ... بصمت لا تصرخي ... كانت مفتوحة .. نعم هناك بالقاع كدت ألفظ روحي عندما شاهدتها .. ظننت أنني أحلم ... لم أكن بحاجة لاستنشق هواء أكثر ، تسمرت هناك حتى شعرت برئتي تنفجران ، خرجت وقفت أتأمل القوارب الأخرى .. ظننت أن الجميع سوف يعلم بما تحت البحر ... ضحكت واعتقدت أن ما شاهدت مجرد خيال أو هلوسة من يتمنى . استجمعت كل قوتي وغصت مرة أخرى ... يـــا رب كانت لا تزال هناك فاتحة فاها واللؤلؤة تشع من داخلها ... اقتربت وأوصالي ترتجف مددت يدي أغلقت فاها كان لدي محار آخر نثرته في القاع وجئت بها.

حصـــة أهي كبيرة إلى هذا الحد ؟

ظاعــن خرافة لم أشهد مثلها ، ولا أعتقد أن أحداً قبلي شاهد لؤلؤة بهذا الحجم إنها بحجم بيضة النورس.

حصـــة يا إلهي .. أهي لؤلؤة عين الحياة ؟

ظاعــن نعم إنها أقرب ما تكون لتلك اللؤلؤة التي يتحدثون عنها في الأساطير.

حصـــة ياله من حلم جميل نقتات به الليلة.

ظاعــن بل هي الحقيقة.

حصـــة دعنا نعود قبل الظلام .

ظاعــن قلت لك إنها حقيقة ... رأيتها هناك في القاع ... كانت فاغرة فاها ..

حصـــة البرد يزداد ... دعنا نعود.

ظاعــن لا تصرخي ، فقط انتظري . ***(يمسك بمفلقة المحار ويعالج بها المحارة).***

حصـــة أوصال الطفل ترتجف بعد الحرارة .. دعنا نعود.

ظاعــن هل رحل الآخرون؟

حصـــة لا أدري ... ليس لديهم طفل مريض.

ظاعــن ***(ينجح في فتح المحارة)*** ها هي ...هاهي ... انظري ... انظري ... إنها عين الحياة ... أكبر لؤلؤة في الدنيا تبارك الله ... تبارك الله إنها عين الحياة.

السوق

(بعض تجار اللؤلؤ يفترشون الأرض أمام دكاكينهم . بعض المارة .. يدخل الحاج مرزوق كبير تجار السوق . الجميع يقف لتحيته).

بوراشد هذا الشتاء بارد .

مــرزوق استمد الدفء من صندوقك الصغير.

العمش النقود تشيع البرد .. توحي بالتجمد لا الدفء .

بوراشد من قال هذا ؟ ... بل قل تشيع الحرارة النشوى.

مــرزوق اصمت .. اصمت في السوق من يسمع ... ومن أين تأتي النقود ؟ ... نحن لم نكسب الكثير في الموسم الماضي.

العمش نعم كان موسماً تعساً .

بوراشد نعم .. نعم اشترينا الكثير من اللؤلؤ .. ولكن لم نجد من يشتريه.

العمش صناديقنا فارغة.

مــرزوق يالكم من ذئاب !!!.

بوراشد كيف لا وأنت كبيرنا ياحاج مرزوق ؟

(يدخل سلمان وهو رجل معتوه . يسير أمام دكاكين تجار اللؤلؤ)

سلمان زائل ابن زائل.

مــرزوق ومتى تزول أنت يا مجنون؟

سلمان دار خراب .. خراب كل شيء لزوال.

مــرزوق يا سلمان ... الزوال بيد الله , وأنت مثل البوم تردد كلماتك على مسامعنا من شروق الشمس حتى مغيبها.

سلمان الشروق ... الشروق ولادة يا سيد التجار ولكنكم موت .. دمار .. زوال.

مــرزوق ***(بغضب يدفعه بعيداً)*** هيا انصرف .. انصرف.

(يدخل مسعود خادم الملا بينما نشاهد بعض البحارة والمتطفلين)

مسعود سيدي الملا يا أصحاب المال.***(يهرب سلمان خوفاً من الملا)***

مــرزوق حلت البركة يا مولانا. ***(يحيط به التجار مرحبين)***

المـــلا بارك الله فيكم وفي أولادكم.

بوراشد أكمل .. أكمل يا مولانا.

المـــلا وفي أموالكم .. وفي صناديقكم.

العمش صناديقنا فارغة. ***(يضحكون)***

مــرزوق تفضل يا مولانا تفضل. ***(يجلس الملا ويحيط به التجار)***

المـــلا يا الله .. بسم الله الرحمن الرحيم .. اسمعوا .. حلمت البارحة ..

التجـــار خير .. خير يا مولانا.

مــرزوق وهل يحلم مولانا إلا بالخير.

المـــلا حلمت أن العقارب تأكل الخشب , وأن سمها أصبح بلون الزنجبيل.

مـرزوق ياله من حلم عبقري ***(يشير للملا تجاه بوراشد)*** أحلامك من نوع خاص تلاءم علمك وورعك.

المـــلا إن الخشب في الحلم رزق يأتي ....

سلمان العقارب في الزمن القادم ستنبح بدل الكلاب.

المـــلا ها... ما لديكم من أخبار يا أصحاب المال والجاه.

بوراشد غواصو المياه الضحلة لا يأتون بشيء.

المـــلا وما الذي يأتي بكم إلى هنا .. أذا كانت لآلئهم لاتساوي شيء ؟

مـرزوق غواصو الشتاء أقل حنكة من أصحاب السفن الكبيرة.

بوراشد لا يأتون إلا باللآليء الصغيرة جداً.

المـــلا ***(يتأهب للانصراف)*** وهل توقفت تجارتكم على سكان الأكواخ يا أصحاب الصناديق الفارغة ؟

مرزوق ***(يسير نحو الملا)*** وماذا نفعل يا مولانا ***(يهمس له ببعض الكلمات)*** إن البرد يجمد أوصالنا.

سلمان دار خراب ... كل شيء لزوال.

الملا ***(يذهب لبوراشد ويأخذه بعيداً عن بقية التجار)*** تلك الأرض الواسعة.

بوراشد التي بوسط القرية.

الملا نعم.

بوراشد إنها أرضي , لقد اشتريتها قبل سنين طويلة , ولكنني أفكر في ....

الملا ***(يقاطعه)*** اسمعني أولاً.

بوراشد نعم يا مولانا نعم.

الملا تلك الأرض ***(يبسمل ويحوقل بخوف)***

بوراشد مابها يا مولانا؟

الملا أصواتهم تصل منزلي والمنازل المجاورة طوال الليل.

بوراشد أصوات من يا مولانا؟

الملا بسم الله الرحمن الرحيم ***(يتمتم)*** سكان الأرض يابني.

بوراشد ***(بفزع)*** ها ... الجن.

الملا اصمت ولا تذكرهم بهذا الشكل .. أتريد لنفسك الهلاك؟

بوراشد لا .. لا ..

الملا فكر في هذا الموضوع , فهي أرض كبيرة وتقع في وسط القرية...

بوراشد وما الفائدة .. ما الفائدة ...

الملا لابد أن نبذل جهداً كبيراً لإخراجهم منها ***..(يعاود التمتمة)*** أنا ذهبت لهم.

بوراشد ***(برعب)*** ها ... ذهبت لمن يا مولانا؟

الملا اسكت .. اسمع ولا تتكلم .. ذهبت لهم عند انتصاف الليل وبعد أن تلوت التعاويذ الخاصة خرج لي كبيرهم على هيئة حصان أزرق وله قرون ذهبية ***(بوراشد يرتجف خوفاً)*** وكان نقاش طويل وقاس , لقد هددني قال : سأمسخك قرداً إن عاودت المجيء , توسلت له أن يتركوا الأرض , ولكنه قال: لن نبرح هذا المكان فهي أرضنا وسندمر كل من يقترب منها . ولكنني سأحاول مرة أخرى .. دع الأمر لي وسوف أخبرك بما يحدث ***(ينظر إلى مرزوق)*** هيا يا مسعود.***(يخرج الملا بينما نشاهد***

ابتسامة مرزوق العريضة ... مرور بعض البحارة .. بحار يعرض لؤلؤة على التجار)

مـرزوق إنها صغيرة لا تساوي شيئاً. ***(يذهب حيث الأعمش)***

العمش أدفع لك روبية واحدة.

بوراشد ***(يدفعه بعيداً)*** لا أريد الشراء انصرف عني.

العمش ها .. تأخذ الروبية أيها التعس.

سلمان في البرد لا تشرق الشمس ... الضباب .. البرد ... الزوال نهاية الكائنات.

مـرزوق ***(يقترب من بوراشد)*** ما بك؟

بوراشد ***(بفزع)*** لا شيء لا شيء.

مـرزوق اسمعوا ***(مخاطباً التجار)*** كذبة الصناديق الفارغة مقولة جيدة ,نتسلى بها في هذا الشتاء البارد , وإلى أن يأتي موسم الغوص الكبير نكون قد صدقناها.

العمش ***(يضحك)*** إننا مصدقون.

مـرزوق لا يكفي .. لابد لهذه الجدران وهذا السوق أن يصدق إننا لم نبع اللؤلؤ.

العمش وإن هذه الصناديق فارغة من أوراق النقد.

مـرزوق نعم لابد أن يصدق الجميع هذه الحقيقة.

سلمان الحقيقة دمار .. شر .. زوال.

بوراشد ألم تحدثني قبل الآن عن الأرض؟

مـرزوق أرض .. أي أرض ؟

بوراشد أرضي التي في وسط القرية ألم تكن ترغب في شرائها.

مـرزوق ها .. نعم تذكرت .. صحيح .. ولكن الأمور تتغير .. كما تعرف إن جميع أموالي لدى تجار الهند .. وعندما رفضت سابقاً اشتريت أرضاً أخرى.

بوراشد ولكن ...

مـرزوق عن ماذا كان يحدثك الملا ؟

بوراشد ***(بفزع)*** ها لا .. لا كان يحدثني عن أبنائي ودروسهم.

مـرزوق اسمع هل تبيعها بعشرة آلاف ؟

بوراشد ولكنك كنت ستدفع ثلاثين ألف قبل شهور ***(مرزوق ينصرف عنه)*** اسمع أنا موافق.

مـرزوق نعم ولكنني سأدفع لك بعد موسم الغوص الكبير.

بوراشد ***(بانكسار)*** موافق .. موافق.

سلمان دار خراب ... كل شيء لزوال.

العمش خذ ***(يرمي له قطعة خبز)*** خذ قبل أن تزول أيها المخبول .

مـرزوق نحن نعرف السوق ، وكيف يسير ، ونحسب حساب الجميع ، ضعوا أيديكم داخل عباءاتكم ولا تخرجوها إلا قليلاً فالبرد شديد وصناديقنا فارغة.

الجميع صناديقنا فارغة.

مـرزوق يا لكم من ذئاب ***(يضحكون)*** بدأ السوق يزدحم .. كفوا لغوكم.

(تزداد حركة المارة . يدخل رجل يعرض ما لديه من لآلىء ، ونشاهد قدر معاناته حتى يستطيع أن يبيعها في السوق ، وفي أطراف القرية انتشر خبر اللؤلؤة النادرة وانقسم الناس بين مصدق ومكذب)

رجـــل يقال إنها لؤلؤة عين الحياة . وجدها ظاعــن والد الطفل الملدوغ.

آخـــر ومن يصدق ذلك . إنها حكاية لا تصدق . هل عرفتم حكاية اللؤلؤة ؟.

آخـــر يقال إنها صعدت لسطح البحر وابتسمت للطفل فذهب السم في الحال , وعندما همت بالعودة للمحارة قبض عليها ظاعــن .. لكنها بكت وتوسلت , وعندما رفض إعادتها للبحر تحولت إلى نورس رمادي اللون طار بعيداً .. وكان يعود ليغرس منقاره في الجرح ويسحب السم من كتف الطفل ..

آخـــر بل يقال إن اللؤلؤة كانت جنية بحر من الصنف المختص بمعالجة انكسارات القلوب ، ولولا زوجة ظاعــن وغناؤها الملّوع لما جاءتها تلك اللؤلؤة الجنية وتفلت على لدغة العقرب فانتفض الطفل وهب يبكي .. وعندما شاهد ظاعــن ما حدث قبض عليها ... وهي لديه الآن ...

آخـــر بل فقدها .. وأصيب بالخبل والجنون ...

آخـــر ليرحمنا الله.

مـرزوق ***(يقف بين التجار)*** أحلام الفقراء والبائسين. ***(يضحكون)***

ما بعد اللؤلؤة

(ظاعــن وزوجته في الكوخ .. نلاحظ بعض المارة يطوفون حول الكوخ في محاولة معرفة ما يحدث داخله)

حصــة إنه يبتسم يا ظاعــن .. هل ستأتيننا بتمر وحليب ؟

ظاعــن أربعة أكياس من التمر .. وقربة من الحليب وبيضاً وعسلاً ...

حصـــة أتهلوس ؟

ظاعــن بل هي الحقيقة ..

حصـــة أين اللؤلؤة ؟

ظاعــن إنها هنا .. لا أعرف ماذا أفعل ؟ الليل مخيف .. أشعر أن آلاف العيون تتجسس علينا .. ربما تكتشف مكان اللؤلؤة.

حصـــة أين وضعتها ؟

ظاعــن ***(يقترب منها ، يحدثها بهمس)*** تحت الحصير .. سأنام فوق الحصير .. لم أرى العسل من سنين طويلة .. بيض وعسل ... حليب .. تمر.

حصـــة عدت للهلوسة مرة أخرى؟

ظاعــن بل دفعتهم بعيداً . لم أقبل ما جاءوا به.

حصـــة من هم ؟

ظاعــن الجيران .. أشعر بعيونهم خلف الكوخ .

حصـــة هل جاءوا بالتمر ؟

ظاعــن وأشياء أخرى . ***(أصوات صادرة من خارج الكوخ .. تدخل لولوه وخلفها مهنا شقيق ظاعن)***

لــولـوه حصة حبيبتي .. كيف حال الصغير , هل هو بخير؟

حصـــة الحمد لله.

لــولـوه ظاعن يا أحسن الرجال كنت أقول دائما إنك من سيحقق مجد هذه العائلة.

مهـــنا كيف حالك يا أخي.

لــولـوه حاله سيكون بألف خير .. إن لديه لؤلؤة عين الحياة.

ظاعــن ولدي طفل ملدوغ.

لــولـوه انفطر قلبي عندما سمعت خبر العقرب ....

مهـــنا كفى .. كفى ***(موجها كلامه لظاعن)*** هل تحتاج ... هيا يا لولوه .. هيا.

لــولـوه ولكن ...

مهـــنا هيا ... ***(يخرجان .. يتوافد أشخاص آخرون)***

رجـــل أحضرت لك بعض التمر يا صديقي.

ظاعــن لدينا الكثير منه .. شكراً لك.

حصـــة ولكن ..

رجـــل إنه قطف هذا الموسم .. إنه لذيذ.

ظاعــن قلت لك لدينا تمر .. شكراً لك لو أحضرته بالأمس لقبلته.

رجـــل هل تعتقد أنني أتيت من أجل اللؤلؤة .. إنني لم أصدق إنك حصلت عليها.

ظاعــن هذا أفضل ...

حصـــة لماذا لا تقبل التمر .. من أجل عايش.

رجـــل هل ما يقال صحيح ؟ .. هل هي كبيرة إلى هذا الحد يا صديقي ؟

ظاعــن أصبحت صديقه !!

حصـــة اقبل بعض التمر من أجل عايش.

ظاعــن لدينا اللؤلؤة غداً نبيعها ونشتري مخزن تمر .. وقارباً كبيراً وبيتاً وبقرة نشرب حليبها ... وأشياء أخرى.

رجـــل أعرف انك تهلوس ياصديقي .. وما أحضرت التمر إلا من اجل صداقتنا العريقة.

ظاعــن كاذب.

حصـــة هل ستبيعها بالكثير ؟

ظاعــن إنها تساوي الكثير الكثير.

حصـــة ألف ؟

ظاعــن عشرات الآلاف.

رجـــل هل أرحل يا صديقي ؟ .. ألست بحاجة للتمر ؟

رجـل2 هل حدثك عن اللؤلؤة ؟

رجـــل ها .. نعم .. نعم ... قال إنها كبيرة جداً.

رجـل2 هل شاهدتها ؟

رجـــل نعم ... هي كبيرة ***(ينصرف)***

رجـل2 كيف حال الطفل .. هل أسميته يا جاري ؟ أحضرت بعض الحليب للصغير.

ظاعــن لتذهب أنت وحليبك ...

رجــل2 إنه طازج.

ظاعــن لدينا الكثير منه.

حصــة خذ القليل.

ظاعــن اصمتي.

رجــل2 هل استطيع مشاهدتها يا جاري .. يقال إنها عين الحياة .. أهذا صحيح ؟ هل استطيع
(يدخل مسـعود وبيده عصا)

مسعود هيا انصرف .. وأنت .. هيا انصرفوا .. سيدي الملا قادم .. هيا ابتعدوا عن الطريق .
(يطرق باب ظاعــن) افتح الباب يا ظاعــن سيدي الملا قادم.

ظاعــن الملا ؟ وماذا يريد ؟

مسعود افتح يا سيد ظاعــن ... الملا في عجلة من أمره.

(يدخل الملا.. مسـعود يفتح الباب عنوة)

مسعود تفضل تفضل يا سيدي الملا.

المـــلا لم أنم الليلة الماضية .. كان من المفروض أن أتغلب على مرضي .. وآتي معك .. أين هو؟

ظاعــن إنه بخير الآن.

المـــلا دعني أشاهده ولا تجعلني أتعذب أكثر .. قلت لك إنني كنت متعباً ولم أعرف لماذا قمت بذاك التصرف الشائن.

ظاعــن ولكنه شفي الآن يا سيدي الملا .. وليس بحاجة ...

المـــلا لا تقل هذا .. استغفر الله .. وهل تعرف ما نعرفه أيها الغواص ؟ كيف حالك يا ابنتي .. أعرف قلب الأم ومنك المعذرة يا ابنتي هل أشاهده الآن.

حصــة إنه في كامل صحته يا سيدي.

المـــلا لا يا ابنتي فلدغ العقرب خبيث ، له ساعة مراوغة وسكون ، تليها العاصفة ... اسأليني عن ذلك.

حصــة ***(فزعة)*** ها هو يا سيدي.

المـــلا بسم الله الرحمن الرحيم ... (يتأمله) ألم أقل لك . انظر يا بني إن السم في حالة هدوء واستكانة، ثم لا يلبث أن يثور مرة أخرى ويقضي على الطفل.

حصــة يا إلهي ...

المـــلا ناولني الحقيبة يا مسـعود .. هو المعافى .. هو الشافي .. سأسقيه هذا الدواء بعدها سينام .. سيصحو بعد انتصاف الليل وسيفرغ ما في جوفه .. إذا حدث ذلك فإن الشفاء تم بإذن الله تعالى.

ظاعــن ولكنه بصحة جيدة يا سيدي الملا .. والطحالب...

المـــلا استغفر الله .. أتكذبني يا بني ... لولا حرصي وندمي على ماحدث الليلة الماضية لما أتيت .. وعلى كل حال ... لا داعي لذلك .. يا مسـعود خذ الحقيبة.

حصـــة لا أرجوك يا سيدي . نصدقك .. نعم نصدقك .. أعطه الدواء.

المـــلا أتيت من أجل إراحة ضميري ، هات الحقيبة يا مسـعود .. بسم الله الرحمن الرحيم ***(يسقي الطفل الدواء ويتمتم ببعض الكلمات)*** والآن كما أوصيتكم ... لا بد من إخباري بما يحدث . خذ الحقيبة يا مسـعود.

ظاعــن هل قبلت بالأجر يا سيدي الملا؟

المـــلا يا بني الأجر من الله ... وأنت رجل فقير .. وأنا أكفر عما حدث فلا تجرح مشاعري بكلامك هذا ... رغم أنني سمعت إشاعة في البلاد تقول : إنك حصلت على لؤلؤة عين الحياة.

ظاعــن هذا صحيح يا سيدي الملا.

المـــلا اخفض صوتك .. آلا تخاف يا بني ؟ هل هي معك الآن؟

ظاعــن نعم يا سيدي.

المـــلا اسمع .. كيف تأمن على نفسك وعلى طفلك وزوجك ومثل هذه الثروة معك ؟ اسمع ليرتاح ضميري فإنني أعرض عليك حفظها في مكان آمن ، لدي صندوق حديدي لا يملكه إلا تجار اللؤلؤ ... حتى لا تتعرض لسطوة اللصوص.

ظاعــن هي في مكان آمن.

المـــلا ***(مخذولاً)*** المهم الطفل ... لا تنس أن تخبرني عنه ... أسمعت يا أبنتي .. ***(لظاعن)*** إذا فكرت في بيعها فأنا على استعداد لشرائها.

ظاعــن سأفكر في ذلك.

المـــلا هكذا .. جيد .. إذا لا تنس الطفل ... هيا هيا يا مسـعود ***(يخرج وتابعه مسـعود)***

الليـــــــل

(انتصاف الليل.في كوخ مهنا)

لـولـوه قم يا رجل .. خذ بعض التمر لظاعن .. قم ألا تسمع؟

مهـــنا نامي إن الليل بارد.

لــولـوه يالك من رجل .. كيف تنام وظاعن يملك عين الحياة.

مهـــنا ألا تدركين رده .. قال لك إنه يملك طفل ملدوغ .. الليلة الماضية كنت في حال آخر .. سبحان مغير الأحوال .. نامي إن البرد شديد.

لــولـوه إنه شقيقك.

مهـــنا أدركت ذلك الآن فقط.

لــولـوه أف .. يالك من رجل مستسلم.

(ظاعــن يسير بتوتر . حصة نائمة إلى جانب طفلها . خطوات تسمع من خارج الكوخ)

ظاعــن ليلة مرعبة .. تطول .. تطول .. لا أعرف متى يأتي النهار.

حصـــة ألم تنم حتى الآن ؟

ظاعــن كان الملا يتحدث معي ، ومسعود يرقب نظراتي ، وكأنه يريد أن يعرف من خلالها مكان اللؤلؤة. ***.(تزداد الخطوات خارج الكوخ)***

حصـــة لا يزال نائماً يتنفس برتابة.

ظاعــن اصمتي .. هناك من يحاول القفز داخل البيت.

حصـــة كن حذراً يا ظاعــن.

ظاعــن اصمتي.

(رجل يسير بحذر داخل الكوخ ، وظاعــن يرقبه باهتمام . عراك صامت بين الرجلين ينتهي بهروب المتسلل)

حصـــة ألا تزال هناك ؟ .. ماذا حدث ؟ أجبني.

ظاعــن (يقف) لقد شج رأسي ... كان يبحث تحت الشجرة ... ألم أقل لك ؟

حصـــة هل عرفته ؟

ظاعــن لا ... كان الظلام يحول دون ذلك.

حصـــة هل جرحك غائر ؟

ظاعــن لا ... نامي ... إنه جرح بسيط ... يارب ليأت النهار سريعاً ، لم أعد أحتمل ؟ هل كانت لعنة ؟

حصـــة حاول أن تنام.

ظاعــن لا بد أن أبقي مستيقظاً ... ؛ فربما يبعدهم حديثي ... الصمت يحرض الآخرين على الاقتراب أكثر. ***(يغني)***

حصـــة ظاعــن ...

ظاعــن ماذا حدث ؟ لماذا تناديننني ؟

حصـــة إنه يستفرغ مخاطاً أخضر ... إن الملا على حق ... السم يثور ويخرج من هدوئه.

ظاعــن إعطه بعض التمر.

حصـــة لقد أنقذه الملا.

ظاعــن بل البحر ، الأعشاب والطحالب.

حصـــة لولا الملا لما اكتمل شفاؤه.

ظاعــن لولا اللؤلؤة لما استفرغ.

حصـــة هل ننام ؟

ظاعــن ليمضغ بعض التمر.

(في الخارج أشباح تقترب وتبتعد من الكوخ .. غناء ظاعــن يستمر حتى الصباح)

المؤامرة

(عشرات الأفراد في انتظار خروج ظاعــن ... يلحقون به إلى السوق)

رجـــل هل قررت بيعها ؟

رجـــل هذا أفضل ، فنحن الفقراء بحاجة لأشياء ضرورية .

رجـــل إن تجار اللؤلؤ مخادعون ... كن حذراً يا صديقي.

(ظاعــن يسير بصمت)

رجـــل يقال إن عين الحياة تجلب السعادة.

رجـــل بل يقال إنها تجلب اللعنة.

سلمان زائل .. كل شيء لزوال ...خراب.

رجـــل كيف حال ابنك يا جاري ؟

رجـــل لا تستسلم لهم ... سوف يحاولون خداعك.

رجـــل هل ملابسك سليمة ... اقبض عليها بيديك ؛ فهذا أفضل.

رجـــل حاذر الزحام في السوق.

رجـــل لا تدعها تغيب عن عينيك.

رجـــل هل هي كبيرة إلى هذا الحد؟

سلمان الصغير والكبير ... الكل زائل ابن زائل ... دار خراب.

رجـــل إذا كانت عين الحياة فإنها ستبهر التجار.

مهنـــا ليحفظك الله يا ظاعــن.

رجـــل لا تستعجل ... السوق في انتظارك.

رجـــل بل كل القرية لا يشغلها غيرك.

رجـــل لا تدعهم يخدعونك يا جاري.

رجـــل هل شفي الطفل يا صديقي ؟

رجـــل رأينا الملا يذهب لمنزلك. ***(تتداخل أصواتهم)***

(ظاعــن يصل السوق ... الحاج مرزوق وجماعته ينظرون إلى الحشد بعدم اهتمام مصطنع .. ظاعــن يتقدم لأول تاجر)

ظاعــن أريد أن أبيع لؤلؤة.

بوراشد لدينا الكثير يا بني.

ظاعــن ولكنها لؤلؤة غير كل اللآليء التي شاهدتها في حياتك.

بوراشد ***(بلهفة)*** صحيح ***(الحاج مرزوق يكح بصوت عالٍ محذراً)*** يا بني ربما لم تشاهدها أنت ، ولكنني شاهدت الكثير .. وعلى كل حال .. أنظر إليها.

(ظاعــن يخرج اللؤلؤة .. ونشاهد لهفة الجميع وتزاحمهم لمشاهدة اللؤلؤة)

ظاعــن ها هي يا سيدي.

بوراشد ***(بعد أن يتأملها)*** نعم إنها كبيرة جدّاً . مع الآسف يا بني.

ظاعــن ولماذا الآسف؟

بوراشد إن مثل هذه اللآليء النادرة لا تتداول في الأسواق ولا تدر ربحاً .. إنها من النوع الذي يباع للمتاحف .. وهي في عرفنا نحن التجار لا تساوي الكثير.

ظاعــن هاتها يا سيدي إن كلامك مضحك ، إن مثل هذه اللؤلؤة تساوي الكثير.

بوراشد لا تستعجل يابني ... السوق أمامك والتجار كثيرون اعرضها عليهم وانظر ماذا يقولون لك .. أنا على استعداد لدفع ألف روبية ثمناً لها.

ظاعــن ماذا ؟ ***(ينصرف إلى تاجر آخر والناس يتابعونه من بعيد)***

العمش ما هذا الزحام ؟ لماذا تتجمعون بهذا الشكل ؟ نعم.***(موجها خطابه لظاعــن وبغضب)*** ماذا تريد؟ وما هذه الفوضى التي تجلبها معك ؟

ظاعــن لدي لؤلؤة ...أريد بيعها.

العمش إذا كنت من غواصي الشتاء فانصرف فأنا لا أشتري التراب.

ظاعــن لا إنها عين الحياة يا سيدي.

العمش ***(يضحك)*** ماذا ؟ عين الحياة ؟

ظاعــن نعم يا سيدي ... ها هي ، انظر إليها.

(يشهق عندما ينظر إليها, ولكن الحاج مرزوق يصدر إشارة تحذيرية أخرى)

العمش نعم لا بأس دعني أزنها ***(بعد لحظات)*** اسمع يا بني إن مثل هذه اللؤلؤة لا تجلب إلا الدمار لمن يشتريها ، فهذه الأنواع لا تطرح في الأسواق وتجار الهند وباريس لا يقبلون على شرائها بل يشتريها أصحاب الأنتيكات والمتاحف وعلى كل حال سأدفع لك ألف روبية وأنا أتحمل نصيبي.

ظاعــن ولكنها يا سيدي لؤلؤة نادرة وتساوي الكثير.

العمش أنت صاحب اللؤلؤة ، ولا أحد يستطيع إجبارك على بيعها ، والسوق أمامك ... وأنا على استعداد لزيادة المبلغ إلى ألف وخمسمائة روبية.

مهنـــا يالهم من ذئاب.

رجـــل ليساعدك الله يا ظاعن.

ظاعــن ***(يأخذ لؤلؤته ويسير لدكان مرزوق)*** ما هذا الذي يقال ؟ ألف و أنتيكات ... إنها مؤامرة.

مـرزوق إذاً أنت من تسبب الزحام بلؤلؤتك النادرة ... ها ... هل جلبت لك الخير أم الشر ؟

ظاعــن أريد بيعها يا سيدي.

مـرزوق أعرف تجار السوق يا بني ، إنهم ذئاب ... اجلس .. اجلس ... دعـــني أراها ***(يناوله اللؤلؤة)*** إنها جميلة نعم أقرب ما تكون لعين الحياة هل أعطوك سعراً مناسباً؟

ظاعــن بل أسعاراً مضحكة يا سيدي.

مـرزوق ذئاب ، أعرفهم ***(بعد أن يقوم بوزن اللؤلؤة)*** اسمع يا بني سأدفع لك مبلغاً جيداً وكل ذلك لمعرفتي بتاجر فرنساوي يعشق جمع هذه الأشياء سأعطيك ألفين من الروبيات ... ماذا قلت؟.

ظاعــن هات اللؤلؤة .. إنكم ...

مـرزوق ***(محذراً)*** هـــا ...

ظاعــن لا أريد البيع شكراً لك.

(يخرج والأهالي يسيرون خلفه بينما نسمع ضحكات التجار)

مـرزوق سيعود. ***(يضحكون.. يدخل الملا فيحيط به التجار وعلامات الغضب بادية عليهم)*** حلت البركة يا مولانا.

المــلا بارك الله فيكم وفي ....***(يحاول الانصراف)***

مرزوق إلى أين ياملا لم نتبارك بزيارتك اليوم.

المــلا لقد شاهدت السوق مزدحماً ففضلت العودة للبيت .. تعرف كرهي للزحام ***(يلاحظ غضبهم)*** ماذا تريدون؟

مرزوق نريد أن نتبارك برؤيتك البهية يا سيدي الملا ، فأنت بركة هذه القرية تعلم أولادنا وتعالج مرضانا .. هل أكمل يا سيدي الملا؟

المــلا لا أفهم ماذا تريدون ؟

بوراشد هل سبقناك في علاج المرضى ونهبهم ياملا ؟

المــلا ماذا حدث ؟ لا أعرف عمّ تتحدثون.

مرزوق نتحدث عن اللؤلؤة يا سيدي الملا .. كف عن محاولاتك ودع كوخ الغواص ظاعــن ... نحن لا نفقه في الدواء ولا في القراءة والحساب ولا نعتقد بأنك تفقه في اللآليء.

المــلا ومن قال غير ذلك يا حاج مرزوق.

العمش لم نسمع عن حبك للفقراء إلا الآن فماذا حدث يا سيدي الملا....

المــلا ابنه ملدوغ وكاد أن يموت لولا ...

العمش ومنذ متى تهتم بسكان الأكواخ يا سيدي الملا ... وتزورهم مرتين في اليوم ؟ اسمع ياملا : ابتعد عن الأكواخ .

المــلا ***(بخوف)*** يا مسعود ... يا مسعود .

مرزوق دعك من مسعود واسمعني جيداً ... دع ظاعــناً ولؤلؤته وانتبه لعملك ، فابني لا يعرف شكل الاثنين من الستة حتى الآن.

(ينصرف الحاج مرزوق والتجار)

الرحيل

(ظاعــن في كوخه ... يسير بتوتر ... حصة تجلس في زاوية الكوخ)

حصــة أشعر أن البيت مليء بالعقارب ... ليحفظ الله عايشاً .

ظاعـن إنها مؤمراة ... كيف تكون لؤلؤة بهذا الحجم ولا تساوي إلا ألفين من الروبيات ... لا بد أن هؤلاء الأوغاد قد اتفقوا عليّ ... ألفا روبية فقط وهم متفقون على عدم صلاحيتها ... يقولون إنها للمتاحف ... يالهم من ذئاب.

حصــة الملا أفضل منهم ... لقد عالج عايشاً.

ظاعـن بل هي الطحالب ... مخادع آخر.

حصــة كان على استعداد لدفع ثلاثة آلاف روبية.

ظاعـن الجميع يؤكد على أنها تساوي أكثر من أربعين أو خمسين الفاً.

حصــة ولكن أين ستبيعها ؟ نحن لا نملك شيئاً .. نحتاج للتمر ... نموت جوعاً ولا نبيعها.

ظاعـن لا بل سنبيعها ... سنرحل للمدينة الكبيرة.

حصــة ماذا ؟ هل جننت يا ظاعــن ؟ نحن نذهب للمدينة الكبيرة ؟ وكيف؟

ظاعـن فقط ... اخفضي صوتك ... سنتدبر أمرنا .. لا بد أن نبيع هذه اللؤلؤة.

حصــة نساء القرية يتحدثن عن لعنتها ... يقلن إن عين الحياة تجلب الدمار لمن يمتلكها.

ظاعـن بل هي خرافة باطلة ، وأقاويل استثمرها تجار اللؤلؤ كي يجبروني على بيعها كما يريدون.

حصــة ***(تنظر حولها)*** أصبحت لا أفرق بين الصرصار والعقرب.

ظاعـن كل القرية تتآمر علىّ.

حصــة لن يدعوك ترحل .. لن يقفوا مكتوفي الأيدي وهم يشاهدون أعظم لؤلؤة تطير من أيديهم.

ظاعــن لن استسلم ... رأيت مكان أظافري في رقبة مسعود.

حصــة يا رب لماذا لا يتركونا في سلام.

ظاعـن واللؤلؤة.

حصــة بعها لهم : لا نريدها ... لقد شفي عايش ... وهو مبلغ كبير جداً.

ظاعـن لا لن أبيعها لهم ... إنهم لصوص ذئاب.

حصــة لن يدعوك ترحل بها.

ظاعـن لن يكتشفوا ذلك .. سنرحل بالقارب ... نعم قبل الفجر سنكون في طريقنا للمدينة المجاورة ، ومن هناك نسير إلى المدينة الكبيرة.

حصــة إنه قارب صغير ولن تستطيع التجديف بمفردك إلى المدينة المجاورة .. بعها ياظاعــن.

ظاعـن لا لن أبيعها .. سأضعها هنا بجانب قلبي ، ولن أنام، وفي الفجر نرحل بهدوء إلى حيث أستطيع بيعها بسعرها الحقيقي.

حصـة لن تستطيع التجديف ، إنك لم تنم منذ أيام ولم تأكل ... كيف سنحتمل هذه الرحلة المرعبة ؟... بعها بعها.

ظاعـن قلت لك لن أبيعها, فقط نامي الآن ، وإذا مرت هذه الليلة على خير فقبل الفجر سنرحل.

(أصوات مرعبة تأتي من الخارج ... وطرق مستمر على جدران الكوخ)

حصــة أتسمع ؟ .. لن يدعونا .

ظاعـن فقط اصمتي ولا تعيري ذلك أي اهتمام.

حصــة أشعر أن الكوخ يتهدم .. ما العمل .. يارب.

ظاعـن لن أستسلم .. ليحدث ما يحدث ... إنها لؤلؤتي منحني إياها الله .. لن أفرط فيها .. وليذهبوا ومحاولاتهم القذرة إلى الجحيم .. حاولي أن تنامي.

(الطرق والأصوات مستمرة ... أشباح تسير حول الكوخ)

حصــة هل هي معك ؟

ظاعـن لينتزعوا قلبي معها ... إنها لي ***(رجل يحاول دخول الكوخ)*** اسمعي الزمي الهدوء.

(لحظات صمت ... ويتكرر ما يحدث في الليلة الماضية .. ظاعــن يتصارع ورجل .. يستمر العراك ونداءات حصة الحزينة)

حصــة ظاعــن ... ماذا حدث ؟ ... ظاعــن ... ***(يزحف نحو زوجته)*** ماذا يحدث يا ظاعــن ... هرب ؟

ظاعـن لا هو هناك ممدد.

حصــة قتلته ؟

ظاعـن لا أدري ولكنه هناك ... كان يريد سرقتها .. اسمعي لا بد أن نرحل الآن .. لن نصبر حتى الفجر ... إنهم عازمون على أخذها ... هيا لنرحل. ***(تحمل عايشاً وتسير خلف زوجها)***

(حول الكوخ رجال يحملون مشاعل .. يحرقون الكوخ)

ظاعـن لم يعد هناك قارب ... لقد أغرقوه بعد أن حطموه ...

حصــة يا إلهي ... إنهم وحوش ... لنعد إلى منزلنا ياظاعــن.

ظاعـن والرجل الممدد هناك.

حصــة لا يهم ... لنعد ... إن عايشا يتجمد من البرد.

ظاعــن لم يعد هناك قارب ... لقد أغرقوه بعد أن حطموه ...

حصــة يا إلهي ... إنهم وحوش ... لنعد إلى منزلنا يا ظاعــن.

ظاعــن والرجل الممدد هناك.

حصــة لا يهم ... لنعد ... إن عايشا يتجمد من البرد. ***(عندما يقتربون من بيتهم)***

ظاعــن لقد أحرقوا الكوخ.

حصــة ماذا ؟

ظاعــن القارب والكوخ ..هل هي لعنة ؟

حصــة قلت لك تخلص منها ... بعها . الآن نفقد كل شيء.

ظاعــن لن استسلم .. فقط نتمنى أن يصدقوا أننا احترقنا داخل البيت ... لابد أن نرحل.

حصــة وكيف ترحل بعد كل ما حدث ؟

ظاعــن سيراً على الأقدام .. لن أقف في نهاية الأمر ... لن أدعهم يسرقون لؤلؤتي.

حصــة دعنا نستسلم ... لن يتركونا نرحل ... شاهدت ما فعلوا بالقارب وبالكوخ.

ظاعــن قاربي يحطم وبيتي يحرق واشرد هكذا من أجل لؤلؤة منحني إياها البحر.

حصــة هل أصبحنا مطاردين .. وأنت هل أصبحت قاتل ؟

ظاعــن لن أستسلم .... لن أستسلم .. هيا .. هيا لنرحل.***(يخرجان)***

(أهالي الأكواخ يتجمعون حول كوخ الغواص ظاعن)

رجـــل إن بيت الغواص ظاعــن يحترق.

رجـــل إنها لعنة اللؤلؤة .. هل كانوا بالداخل ؟

رجـــل انها عظام رجل.

لـولـوه واللؤلؤة ؟

رجـــل ومن يدري ما حدث.

لـولـوه ليرحم الله ظاعــناَ ... ولكن اللؤلؤة.

سلمان دار خراب ... كل شيء لزوال.

رجـــل يقال إنه هرب.

رجـــل إذاً عظام من التي احترقت ؟

رجـــل ليرحمنا الله جميعاً ... عين الحياة لعنة ... دمار ...

سلمان كل شيء زائل ... دار خراب .. دار خراب .. دار خراب.

رجـــل ماذا حدث للطفل.

رجـــل أسماه عايش.

رجـــل ولكن أين ظاعن؟

رجـــل ربما أبحر في قاربه.

مهنـــا إنهم كلاب ... كلاب.

لـولـوه اخفض صوتك.

مهنـــا ظاعن ... ظاعن ... أين أنت يا أخي ... أين أنت يا ظاعن.

لـولـوه اصمت .. اصمت...

مهنـــا أين أنت يا أخي ... أين أنت يا ظاعن. ***(يدخل الملا وخلفه مسعود)***

المـلا ماذا حدث .. ماذا حدث ؟

(يشير لمسعود بتفتيش بيت ظاعن .. نلاحظ التجار الثلاثة يسيرون بحذر في عمق المسرح .. المارة يتهامسون ... ظاعـن وزوجته يرقبون ما يحدث بهدوء.)

مرزوق ها ياملا ألم تزل تحاول ؟

المـــلا أتيت للصلاة على الموتى.

مرزوق ظاعـن لم يمت ، وأنت تعرف ذلك ... فدعك من هذا الخداع وانصرف لعملك.

المـــلا بيته احترق ... وجدوه هناك.

مرزوق بل قتل رجلاً وهرب.

المـــلا قتل ... قتل من ؟

مرزوق ومن يعرف ... لقد أحرق بيته كي يخفي جريمته.الجميع يذهب لحال سبيله ... واحذروا أن تتستروا على ظاعـن ... من يره يخبرنا في الحال.

الموت

(ظاعــن وزوجته خارج القرية .. يسيرون بين التلال)

ظاعـن سأحمل عايشاً ...

حصــة إلى متى ؟

ظاعـن إننا خارج القرية .. الآن هذه التلال .. والمرتفعات ستحمينا.

حصــة والجوع والعطش ... أول مرة أعرف إنك بهذه الصلابة والقوة ... كنت دائماً هادئاً ومسالماً ...

ظاعـن ليس الآن ، لا بد أن نواصل السير.

حصــة متى سنصل للقرية المجاورة ؟

ظاعـن ربما في مساء الغد.

حصــة أحمل عايشاً عنك.

ظاعـن لا يزال أمامنا طريق طويل. ***(صوت حوافر خيل تجري)*** إنهم وراءنا.

حصــة وما العمل ؟

ظاعـن نصعد هذه التلة لعلنا نجد مكاناً ...

حصــة سيتبعون أثرنا.

ظاعـن الأرض صخرية لن تطبع خطواتنا.

حصــة صوتك واهن ... ماذا حدث لك ؟

ظاعـن إنهم كلاب ... كلاب ... ***(يبكي)***

حصــة ظاعــن ***(لحظات صمت)***

ظاعــن لا عليك .. لنلتمس هذه التلة ***(أصوات الخيول تقترب بينما ظاعــن يسير إلى أعلى التلة ... ثلاثة فرسان يصلون إلى مكان ظاعــن ، وأحدهم يحمل بندقية)***

مرزوق لا بد إنهم قريبون منا.

العمش البحث في الظلام غير مجدٍ.

مرزوق أوافقك على ذلك ...لن يبعدوا كثيراً ... نرتاح هنا حتى الصباح.

بوراشد وماذا لو فقدناهم ؟

مرزوق لن نفقدهم ... نحن لدينا خيول ... وهم يسيرون على أقدامهم ،.. ولا تنس المرأة والطفل.

بوراشد ناما وسأبقى مستيقظاً.

ظاعــن لا فائدة ... سيبقون هناك حتى الصباح.

حصــة وما العمل؟

ظاعـن إنهم يريدون اللؤلؤة ... لن يحصلوا عليها .. اسمعي ... ابقي هنا ولا تدعي الطفل يبكي.

حصــة ماذا ستفعل ؟

ظاعـن سأذهب لهم ... نعم سأذهب لهم .. لابد أن أتغلب عليهم ... فقط لا تدعي الطفل يبكي ... إنها فرصتنا الوحيدة ***(يأخذ سكينه ويتسلل بهدوء إلى حيث الرجال ... في لحظة اقترابه منهم يصرخ الطفل يصحو أحد الرجال)***

العمش ما هذا؟

بوراشد لابد إنه جرو ذئبة.

العمش بل انه صوت طفل.

بوراشد لا تكترث نم. ***(الطفل يعاود البكاء)***

مرزوق انه طفل .. نعم بكاء طفل.

بوراشد إن كان طفل أو جرو .. سيان ... فأني سأقتله ***(الطفل يعاود البكاء)*** إنه يسهل مهمتي. ***(يطلق النار تجاه الصوت)***

حصــة لقد كانت في فمه يا ظاعــن ... لقد كف عن الصراخ إلى الأبد .. لقد زرعوا الرصاصة في فمه يا ظاعــن.

(في القرية وبين حشد الأهالي يسير ظاعــن وزوجته تحمل طفلها في قطعة قماش يسيل منها الدم . يسير حتى شاطئ البحر يمسك اللؤلؤة بيده ينظر لها طويلاً)

ظاعـن ***(يخاطب أهل الأكواخ)*** عايش ذهب ... أسميته عايش .. ولكن الآن لم يعد هناك طفلاً يدعى عايش ... عايش ذهب .. عايش ذهب فاذهبي أنت أيتها اللؤلؤة الكريهة. ***(يهم برمي اللؤلؤة في البحر)***

حصة لا .. لا ***(تمسك بيديه)***

النهاية